

اللّغة العربيّة والبحث العلميّ

وطنيّاً، وعربيّاً، ودوليّاً

اللّغة العربيّة ، اللّغة الكونيّة

واقع اللّغة العربيّة في البحث العلميّ اللّغويّ

د. دريّة عبد الحميد حجازي و د. محمّد بن جميل الوحيديّ

جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا - الإمارات العربيّة المتّحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً .. الحمد لله الذي أنزل آخر الكتب السماوية بلسان عربي مبين على آخر الأنبياء وسيّد المرسلين، سيدنا وحبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلّم.

أمّا بعد:

فلم يعد خافياً اليوم ما تتعرض له اللغة العربية من هجمات شرسة من كلّ حذب وصوب، واقتصار ردود أفعالنا - مؤسسات، ومؤتمرات، وندوات، وغيرها- على عدد من التوصيات تظلّ حبيسة الأدراج إلى أن نحييها من جديد في تجمهر مبارك آخر.

ولما كان الجميع شركاء فيما وصلت إليه العربية؛ فلا بدّ أن نكون كذلك في حمايتها، وتحمل المسؤولية تجاهها؛ فحبّ العربية والدفاع عنها من الإيمان بالقرآن الذي شرفها، فنزل بلسانها.

ولقد أبحرنا ما توصل إليه العالم العربيّ البروفيسور سعيد إبراهيم الشربينيّ واللجنة الدوليّة التي هو أحد أعضائها؛ من أنّ اللغة العربية هي اللغة الكويّية، وبالمقابل فقد صدمنا الأستاذ "إبرام دواسوان" في كتابه:

"كلمات العالم" الذي تحدّث فيه عن منظومة اللغات الكويّية؛ دون أن يأتي على ذكر اللغة العربية في كتابه كلّ!! مع أنّ كتابه طبع في عام 2011م؛ بعد ثماني سنوات من انعقاد مؤتمر اللّجنة الدوليّ في لندن عام 2003م .

وحول اللغة الكويّية سيدور بحثنا الذي يتكوّن من أربعة مباحث ، وخاتمة تتضمّن أهمّ النتائج وبعض التوصيات؛ وهي على النحو الآتي:

### المبحث الأول: مفهوم اللغة الكويّية.

وقد عرّفه د. الشربينيّ بقوله: (هو العلم الذي يدرس لغات العالم جميعها في آن واحد، ويقارن بين الأنظمة التحوّية لكلّ لغة) منوّهاً إلى أنّ جملةً واحدةً أو جملتين فقط تكفيان العالم للتعرّف إلى الفرق بين اللغات والمقارنة بينها.

### المبحث الثاني: شجرة اللغات.



دخل العالم في العشرين سنة الماضية فيما سُمِّي بعصر موت اللغات، حيث أصبحت تموت لغة كل أسبوع مقابل عدم ولادة لغات جديدة، وهذا ما جعل علماء اللغة يتساءلون عن اللغة التي سينتهي إليها العالم في نهاية الأمر، وتفرض نفسها على جميع الألسنة، كما أدى إلى نشأة علم جديد هو علم اللغة الكوني، وقد نشأ في المملكة المتحدة<sup>(1)</sup>، كما أنه بدأ يحظى باهتمام الجامعات في أمريكا، وبعض دول أوروبا، وآسيا، ولما يدخل بعدُ إلى الآن البلاد العربية إلا على استحياء؛ فقد استضافت قناة الرّحمة الفضائية أستاذ فقه اللغة في جامعة لندن البروفيسور سعيد إبراهيم الشّريبي<sup>(2)</sup> في حوار حول علم اللغة الكونية، ثم استضافته جامعة الإمام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية كأستاذ زائر لإلقاء عدد من المحاضرات في هذا العلم.

وقد عرّفه الدكتور الشّريبي بقوله : ( هو العلم الذي يدرس لغات العالم جميعها في آنٍ واحدٍ، ويقارن بين الأنظمة النّحوية، وينظر من أيّ لغةٍ انحدرت مفردات كلّ لغة، من خلال علم الوراثة اللّغوية، ليعرف أسباب موت اللّغات، وأسباب طول عمرها وقوتها وضعفها، وليعرف بالتالي أيّ اللّغات هي اللّغة الخالدة). منوهاً إلى أنّ جملة أو اثنتين من كلّ لغة تكفيان العالم للتعرّف إلى الفرق بين اللّغات والمقارنة بينها.

ويرى الدكتور الشّريبي أنّ الله سبحانه عندما خلق آدم - عليه وعلى نبيّنا الصّلاة والسّلام - بثّ في ذهنه اللّغة قبل بثّ الروح، وقد نقل ابن جنّي في الخصائص رأي أستاذه أبي عليّ الفارسيّ القائل بهذا المفهوم، واحتجّ بقوله تعالى: **جاء ج ج** **ج البقرة: ٣١**

وكان أوّل ما لفظ آدم عليه السّلام حينما عطس: الحمد لله؛ كما يقول الإمام القرطبيّ رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى (( الحمد لله ربّ العالمين )) في سورة الفاتحة<sup>(3)</sup>. ويُستدلّ من ذلك على أنّها كانت ماثورة في ذهنه من قبل. وحينما نزل آدم إلى الأرض، نزلت معه اللّغة.

ولعلّ من سائلٍ هنا: ما الدليل على أنّ آدم عليه السّلام قد تلقّظ بأوّل الكلمات باللّغة العربية؟

يقول الدكتور الشّريبي: لقد أجرينا بحثاً طويلاً في اللّغات المختلفة كلّها عن وجود مقابلٍ للفظ: " الحمد لله "، في الحية

منها والميّنة، فلم نجد، إذ لا يمكن ترجمتها بلفظة تؤدّي معناها تماماً.





ف ف ف ف ف ج ج ج ج ج ، ج أب ب ب ب ب ب ج ج ج ج ج ، وما أتفق على تسميته " بالحروف المقطعة " في أوائل سور الفواتح، حيث يرى أنّ في افتتاح بعض سور القرآن بهذه الأحرف الثلاثة له دلالة على البقاء والامتداد وعدم التحوّل، كما أنّ في ذلك دعوة للعلماء لدراسة هذه الأصوات، وعلاقتها بموت اللّغات، وسرّ افتتاح بعض سور القرآن بهذه الحروف.

### صوت الميم ( م ):

ويشبهه بالتّربة التي تنمو فيها اللّغة، وهذا الحرف هو واحد من أربعة عشر حرفاً هي الحروف الواردة في أوائل سور الفواتح، وهو أحد الأحرف التي تتألّف منها الفواتح، ( الم ) و ( المر ) و ( المص ) و ( طسم ) و ( حم ). ومن المتوقّع أن يسفر هذا العلم الجديد عن اكتشافات مذهلة في لغة القرآن الكريم، وأساليبه، ومفرداته، وعن تلك الحروف التي افتُتحت بها تسع وعشرون سورة من بين سور القرآن الكريم.

ويذكر الدكتور الشّريبي أنّ الافتتاحيّة ( الم ) الواردة في ستّ سور من القرآن ( البقرة/ الآية 1، آل عمران/ الآية 1، العنكبوت/ الآية 1، الرّوم/ الآية 1، لقمان/ الآية 1، السّجدة/ الآية 1) مؤلّفة من أحد عشر صوتاً، وفق علم اللّغة الكويّ.

### صوت الباء ( ب ):

ويمثله الدكتور الشّريبي بالجدع أو العمود الفقريّ، وحينما يتحوّل هذا الحرف إلى صورة أخرى في اللّغة، فهو يعني أنّ تلك اللّغة قد أصيبت بالشيخوخة، فإذا مرضت اللّغة يبدأ صوت الرّاء بالانشقاق كما في اللّغة الإنجليزيّة (( V,P,B )) أو اللّغة الأوردية (( PRA,B,P,V )) وانشقاقه يعني تصدّع العمود الفقري للغة، وأّها بدأت في مرحلة الشيخوخة. ويقول الشّريبي إنّ هذا الحرف في اللّغة العربيّة يعدّ " الميزان "، ويتمّ الاحتكام إليه في الحكم على شيخوخة اللّغات. وبهذا الفهم فاللّغة العربيّة - كما يذكر الباحث في علم اللّغة الكويّ - فاللّغة العربيّة هي أصل اللّغات، أو كعبة اللّغات، ومنها تفرّعت باقي اللّغات الأخرى بلا استثناء.

## المبحث الثالث

## موت اللغات

تُعدّ اللغة أروع أداة اخترعها الإنسان قبل مليون سنة تقريباً، وتشبه اللغة بالكائن الحيّ الذي ينمو ويكبر، يتطوّر ويقوى،

وقد يضعف وينهار وينقرض. وهذا يدفعنا للسؤال:

متى تنقرض اللغة وتموت؟ وما أسباب انقراضها؟

### تعريف اللغة المنقرضة:

يعرّف اللغويون عادة "اللغة المنقرضة" بأنها تلك التي يتكلمها أقلّ من ألف إنسان، وهذا يعني أنّ معظم لغات العالم -

اليوم - تواجه ضغطاً شديداً بسبب الهيمنة التي تفرضها العولمة، واللغات الأساس؛ مثل الإنجليزية، والفرنسية، والإسبانية، والصينية، التي تؤلّف ما نسبته 4% فقط من اللغات ومع ذلك، يتكلم بها 97% من سكّان العالم، وأمّا الـ 96% الباقية، فلا يتكلمها سوى 3% من أهل الأرض.

### موقع العربية بين اللغات المهيمنة:

يُقدّر عدد اللغات في العالم بزهاء السبعة آلاف، وتأتي لغة "المندرين" الصينية في المرتبة الأولى من حيث عدد المتكلمين

بها، وتليها الإنجليزية، فالإسبانية، فالبنغالية، فالهندية، فالبرتغالية، فالروسية، فاليابانية<sup>(7)</sup>. وقد يدهش القارئ العربيّ لغياب

اللغة العربية عن هذه اللائحة إذا علمنا بأنّ عدد العرب يصل اليوم إلى حوالي ثلاثمائة مليون، وعليه فمكان العربية يجب أن

يتبوأ المرتبة الثالثة بعد الإنجليزية؛ ذلك أنّ عدد المتحدثين بها يبلغ 322 مليون متحدث، إلا أنّ هذا الإشكال يزول إذا

علمنا أنّ اللغة العربية الفصحى ليست لغة أمّ طبيعية بالمعنى العاديّ لأيّ إنسان عربيّ، وأنّ هناك كمّاً هائلاً من اللهجات

العربية المحليّة المنافسة.

إنّ هيمنة اللغة الواحدة تاريخياً هي ظاهرة حديثة العهد، ففي البداية كانت هناك لغات لا حصر لها، وهناك من يرى أنّ

اندثار اللغات، لصالح لغة ما، ليس أمراً مقلقاً؛ إذ أنّ انتشار اللغة الإنكليزية مثلاً على حساب لغات أخرى أمر مرغوب

فيه؛ إذ أنّه يتمخض عنه استمرار العالم، وكلّما تزايد عدد اللغات المحكيّة، كلّما صعب على الإنسان فهم أخيه الإنسان

وغدا العالم أقلّ تناسقاً وتناغمًا.

## عوامل اندثار اللّغة:

ويتوقّع الباحثون اندثار قرابة 50% من لغات العالم مع نهاية هذا القرن، ذلك أنّ عدد المتكلمين بها في تناقص مستمرّ، وهو المصير نفسه الذي واجهته لغات كثيرة في الماضي البعيد.

ويرى آخرون أنّ موجة اندثار اللّغات ستحتاج مجموعة اللّغات الأكثر تعقيداً لدى الجنس البشريّ.

كيف يمكن للغة أن تموت وتندثر؟

من عوامل اندثار اللّغات حروب الإبادة، والكوارث الطّبيعيّة، كما جرى لشعوب الكاريبيّ، وكما جرى للغة العربيّة بعد

اندحار العرب من الأندلس؛ حيث انقرضت عربيّتهم هناك.

ومن العوامل التي تؤدّي إلى انقراض لغة ما، عندما تحتلّ لغة أخرى ذات هيبة ونفوذ سياسيّ، واقتصاديّ، واجتماعيّ،

مكان تلك اللّغة، ولا يتوقّف الانقراض هنا على المفردات والتراكيب اللّغويّة، والتّحويّة لتلك اللّغة؛ بل يمتدّ ليشمل التّراث

الثّقافيّ لتلك اللّغة.

## اللّغة العربيّة: إلى أين؟

اللّغة العربيّة هي اللّغة التي اصطفاه الله سبحانه وتعالى لتكون لغة القرآن الكريم، كتاب الله المنزل على خاتم الأنبياء

والمرسلين، وبذلك فهي لغة الدّين الذي ارتضاه سبحانه للبشريّة كافّة؛ ممّا جعلها تتمتّع بتاريخٍ طويل متواصلٍ، وثباتٍ راسخٍ

في وجه كلّ التّحدّيات التي واجهتها، واستطاعت أن تكون لغة العلم والحضارة لعدّة قرون متتالية، وأن تعطي الكثير من

أسباب التّقدّم والرّقيّ الإنسانيّ، قبل أن تتكالب عليها عوامل الضّعف.

فما مصير اللّغة العربيّة وسط هذه المعمة التي يكثر الحديث فيها عن اندثار اللّغات وانقراضها، وهيمنة الأقوى؟ هل

ستكون ضمن اللّغات المرشّحة للانقراض؟

يقول العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالى: ( إنّ الأمة إذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع إليها الفناء ).

والمشاهد اليوم أنّ العرب اليوم مغلوبون على أمرهم، تابعون لغيرهم، والعربيّة اليوم كلغة رسميّة هي في الواقع شكلاً فقط، وأنّ

هوّة الازدواج بين الفصحى والعاميّات عميقة جدّاً، والأمنيّة ضاربة أطنابها في أرجاء الوطن العربيّ، والقراءة سلعة نادرة، والميل

للتحدّث بالإنجليزية والفرنسيّة على حساب العربيّة صار مطلباً لدى فئة كبيرة من أبنائها؛ كما أنّ كثيراً ممّن يمثلون العرب لدى الأمم المتحدة، لا يقدّمون نموذجاً في هذا المجال، أضف إلى ذلك مناهج التدريس المتبعة في المدارس والجامعات، كلّ ذلك وغيره، عوامل تزيد في ضعف اللّغة العربيّة.

فهل هو التّدير بانقراض العربيّة كغيرها من اللّغات أمام زحف اللّغة الإنجليزيّة التي تسيطر على الإنترنت...، وبعد أن أصبحت لغة التّخاطب في المؤتمرات الدّوليّة؟

يرى الأستاذ بسّام بركة<sup>(8)</sup> أنّ العربيّة ستكون في مطلع اللّغات المهدّدة؛ ولكن هناك من اعترض على ذلك بأنّ العربيّة لن تواجه هذا المصير، مستنداً في ذلك على شواهد وآراء لعلماء غير متحيّزين للعرب. فقد أعلن الكاتب الإسبانيّ "كاميلو جوزي سيلا" الحائز على جائزة نوبل في الأدب عام 1989م عن توقّعاته حول مصير اللّغات الإنسانيّة وتنبؤاته المستقبلية بما ستؤول إليه الألسنة البشريّة العالميّة، وتوصّل إلى أنّ أغلب لغات العالم ستنقرض وتتقلّص، ولن يبقى من اللّغات البشريّة إلا أربع قادرة على الحضور العالميّ وعلى التّداول الإنسانيّ، وهي: الإنجليزيّة، والإسبانيّة، والعربيّة، والصينيّة<sup>(9)</sup>.

وأكدت منظمة اليونسكو أنّ اللّغة العربيّة لا يمكن أن تندثر لأنّها لغة القرآن الكريم، وأنّها ستكون خالدة بخلوده، محفوظة بحفظه، وقد جاء في القرآن الكريم أنّ الله سبحانه قد تعهّد بحفظ القرآن بقوله: **چ گ گ گ گ گ** (الحجر:9).

ويرى بعض الباحثين أنّ في اللّغة العبريّة، وهي لغة كتاب سماويّ، مثل واضح لرؤية مخالفة، فقد انقرضت هذه اللّغة كلغة محكيّة مكتوبة؛ إلا أنّها عادت قبل زهاء قرن من الزّمان نتيجة لعدد من الظّروف المؤاتية، وغدت لغة محكيّة حيّة، تُدرّس فيها كلّ العلوم، في الجامعات الإسرائيليّة، بما في ذلك الطّب. وتشير الإحصاءات إلى أنّ العبريّة القديمة لم تكن تضمّ أكثر من ثمانية آلاف كلمة، وفي غضون المائة عام الماضية، دخلت واشتقت في العبريّة الحديثة زهاء الخمسة عشر ألف لفظة.

وبالعودة إلى القرآن الكريم؛ تشير الدّراسات إلى أنّ القرآن الكريم يحتوي أقلّ من ثلث ألفاظ اللّغة العربيّة، ممّا يجعل مسألة الرّبط بين حفظ القرآن، وحفظ اللّغة العربيّة كلغة محكيّة مكتوبة موضع سؤال. ويرى هذا الفريق من الباحثين أنّ القول الفصل في مسألة إمكانيّة الحفاظ أو عدمه على لغة معيّنة؛ يرجع إلى اهتمام أبناء اللّغة بلغتهم، ودورهم الثقافيّ والحضاريّ

بين الشعوب الأخرى.

ولعلّ المطلوب في هذه المرحلة هو: إيجاد مشروع عربيّ شامل، يشترك فيه الجميع، يسعى للاهتمام بالعربيّة واحترامها، شأن كثير من الدول التي تعطي الأوليّة للغتها، وتوليها ما تستحقّ من الرعاية. وكما يُقال: طريق الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة، فهل سنبدأ أم ننتظر؟.

## المبحث الرابع

### بقاء اللّغة الكونيّة

وفق ما تمّ التّوصّل إليه في مؤتمر لندن الذي عقد عام 2003، فعدد اللّغات الحيّة هو 602 من أصل ألف لغة، وأنّ العالم يعيش في عصر يمكن تسميته بعصر موت اللّغات؛ فقد ثبت أنّ اللّغات تموت بسرعة كبيرة أسرع من ذي قبل، وبمعدّل لغة واحدة أسبوعيّاً، وبحسابات رياضيّة يتنبأ الباحثون أنّه في عام 2030 لن يبقى من اللّغات الحيّة اليوم سوى خمس عشرة لغة، وفي عام 2090م؛ أي مع نهاية هذا القرن، لن يبقى على سطح الأرض سوى لغة واحدة.

ولعلّ السّؤال الذي يتبادر إلى الدّهن الآن: ما تلك اللّغة يا تُرى؟

ينتصب أمام العربيّة اليوم سؤال مصيريّ أصبح محور المؤتمرات والندوات اللّغويّة، كما أصبح عنواناً للعديد من المقالات والمؤلّفات: ما مصير اللّغة العربيّة؟ هل هي اللّغة الكونيّة الباقية أم ستقرض غيرها من اللّغات الأخرى؟

لنستعرض مواقف النّاطقين بالعربيّة قبل أن نجيب عن هذا السّؤال المصيريّ:

تعدّد مواقف النّاطقين بالعربيّة من لغتهم وتباين، منها:

- فمن ناظر إلى الالتزام بالفصحى في لغة الخطاب اليوميّ.
- ومن ناظر في ذلك تكلفاً يلقي على المتحدّث عبئاً غير لازم، وقد يلقي لدى المستمعين استهجاناً لما لم يألفوا.
- ومن راغب في الفصحى لغة لخطابه؛ ولكنّ العاميّة تتسرّب إليه على نحو تلقائيّ.
- ومن ناظر إلى أنّ الإعراب نظام، والنّظام جميل، والتزامه كذلك.

- ومنهم من تستهويه العربية الوسطى.
- ومنهم من يرى في أداء أبناء العربية، وما يقعون فيه من أخطاء فادحة في القراءة والكتابة ضعفاً فادحاً، ومدعاة للإحياء باللائمة على الجيل والمؤسسة التربوية.
- ومنهم من يرى المداخلة بين الإنجليزية والعربية يأتي - لدى بعضهم - عفواً لزدواج موارد اللغتين لديه بالاكتساب.
- ومنهم من يرى في تلك المداخلة ما يدلّ على عقدة نقص تترجم المقولة الخلدونية ( إنّ المغلوب مولع بتقليد الغالب).
- ومنهم مشفق على العربية أن يغمرها طوفان الألفاظ الأجنبية في السوق العربية الاستهلاكية.
- يرى بعض الباحثين أنّ العولمة تمثّل تحدياً حقيقياً للعربية في قدرتها على البقاء والسيّورة والاستمرار، بعد أن أصبح عصر العولمة يهدّد بتسارع غير مسبوق كثيراً من اللغات بالموت. إلا أنّ آخرين ينظرون إلى المسألة من زاوية أخرى، مستندين في ذلك إلى العهد الإلهيّ بحفظ الذكر الحكيم؛ ويرون في ذلك التّعهد دليلاً على حفظ اللغة العربية.
- فهل يعني العهد الإلهيّ بحفظ الذكر الحكيم - صونه من التّغيير والتّبديل - حفظ العربية بهذا المفهوم؟

### القرآن والإسلام والعربية:

يربط الباحثون بين العربية والقرآن برباط وثيق لا مجال لانقطاعه، ويرون في ذلك سبباً لاستمرار العربية كلغة مكتوبة على مرّ الزّمان، وقدرتها على مواجهة العاميّات المختلفة، ويستشهدون لذلك بأنّ العربية هي اللغة المتداولة في المناسبات الرسميّة مهما تنوّعت اللهجات العربية المعاصرة، وبالتالي فلا خوف على العربية لأثما لغة الدّين.

والعربية هي لسان الدّكر، فالقرآن عربيّ، نزل بلسان عربيّ مبين، ونزل على سنن العرب في كلامهم، نزل بلسان رسول الله صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلّم ولسان قومه؛ ليفقهوه، لا يلتبس عليهم شيء منه.

والقرآن الكريم هو الذي ارتقى بكلام العرب إلى منزلة اللغة المعتمدة، ذلك أنّ وصف العربية وتعقيدها، وعلومها جميعاً، قد أبجرت - بعد تحوّل السّليقة وتسربّ اللّحن - لدواعي أداء القرآن أداءً صحيحاً؛ بل إنّ البلاغة قد نشأت مثل هذا الشّروط، وعلى نحو إضافي، إذ كانت تقصد في المقام الأوّل بيان إعجاز القرآن.

وقد انطوى وصف العربية - بما هي لسان التّنزيل - على بعدين؛ قوميّ وإنسانيّ. ذلك أنّه كان وصفاً أثناقيّاً للهجات

عربيّة مختلفة، فاستوعب المشترك بينها، كما استوعب السمّات الخاصّة التي كانت تنفرد بها لهجة دون سائر اللهجات، وكان ذلك منسجماً مع التوسعة التي شرعها الأثر الشريف " أنزل القرآن على سبعة أحرف "، وكان ذلك تعبيراً عن تدبير اثتلافيّ سياسيّ يتجاوز بالعرب وحدة القبيلة إلى منظومة القوميّة ومفهوم العروبة، وفكرة الأمة.

وكان وصف العربيّة موجّهاً إلى غير العرب ممّن دخلوا في الإسلام، وكانت العربيّة لغة الدّين والدّولة، فأقبلوا على تعلّمها، واتّسق وصف العربيّة بذلك مع غاية الرّسالة التي تجاوزت العرب إلى العالمين. وكان انتشار الإسلام عاملاً رئيساً في انتشار العربيّة.

ومثّل القرآن والإسلام والعربيّة ثلوثاً عضويّ الارتباط، واجتمع لهذا الثّالوث مددٌ من قوّة الدّولة الإسلاميّة، فوقع لها الغلب على الأمم؛ إلا أنّه حينما ظهرت النزعات القوميّة، استعادت تلك الأمم ألسنتها، وانخسرت العربيّة؛ ولكنّ الإسلام قد بقي مستمرّاً.

ومضت العربيّة على الرّمن متنازعة تتجاذبها قوى ارتباطها بالدّين، وقوى المتغلبين من سائر الأمم، فلما صار الملك إلى العجم، واستولوا على الممالك الإسلاميّة، فسد اللّسان العربيّ، وكاد يذهب لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسّنّة اللّذين بهما حفظ الدّين. ولما ملك التّتار والمغول بالشرق، ولم يكونوا على دين الإسلام، فسدت العربيّة على الإطلاق.

يقول العلامة ابن منظور رحمه الله تعالى في مقدّمة اللّسان؛ مبيّناً غايته من وضع معجمه: ( فإنّي لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللّغة التّبويّة وضبط فضلها؛ إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسّنّة التّبويّة؛ وذلك لما رأيته قد غلب، في هذا الأوان، من اختلاف الألسنة والألوان، حتّى لقد أصبح اللّحن في الكلام لحناً مردوداً، وصار التّطق بالعربيّة من المعايير معدوداً، وتنافس النّاس في تصانيف التّرجمات في اللّغة الأعجميّة، وتفاصحوها في غير اللّغة العربيّة، فجمعت هذا الكتاب في زمنٍ أهله بغير لغته يفخرون<sup>(10)</sup> .

وما أشبه اللّيلة بالبارحة، فكأنّ ما وصفه ابن منظور رحمه الله تعالى من حال العربيّة في زمانه يترجم عن تقلّب الأحوال باللّغة العربيّة في زماننا. وتبقى العروة الوثقى بين الإسلام والعربيّة هي الحمى الذي يلوذ به أهل العربيّة حفاظاً عليها قديماً

وحديثاً، إذ كانت هي العروة الوثقى التي لاذ بها العرب في مواجهة الفرنسية في الجزائر، وكانت حجةً للتثورة العربية على التتريك في العصر الحديث.

وما زال ارتباط العربية بالنصّ المقدّس عاملاً في امتدادها في البلاد الإسلاميّة الناطقة بغير العربية. فإذا اتّخذنا ماليزيا مثلاً، وجدنا اعتناؤها بالعربية في مستويات متنوّعة، إذ أنّها تعلّم العربية في المدارس، وتخصّص للتخصّص في اللّغة العربية وآدابها أقساماً أكاديميّة في الجامعات، كما تدأب على إيفاد الطّلبة إلى الجامعات العربية لهذه الغاية. وتتمثّل هذه العناية بالعربية في مؤلّفاتهم التعليميّة الموجهة إلى التلاميذ مباشرة، في أنّها لغة القرآن، ولغة العبادة، ولغة الدّين الإسلاميّ، ومفتاح السّعادة في الدّنيا والآخرة، وأنّ تعلّم العربية وسيلة لفهم القرآن الكريم، ومبادئه السّامية.

ويظهر جليّاً في تعليم العربية في تلك البلاد أنّها ترى في العربية لغة دين ودنيا في آنٍ معاً. وصفوة القول: إنّ حفظ الدّكر بالعهد الإلهيّ؛ يمثّل ضماناً لبقاء العربية في المشهد الإنسانيّ على الرّغم من كلّ ما يتحاذىها في دورة الصّراع، ونواميس التطوّر.

### العربية أطول اللّغات عمراً:

لا مرأى أنّ العربية هي أطول اللّغات الحيّة عمراً، وأنّها اقتزنت بالتّراث اقتزناً تلقائياً؛ إذ هي لسانه ومستودعه على مدى بضعة عشر قرناً، وما تزال تمتدّ به ويمتدّ بها حتّى يوم النّاس هذا. والمعنيّ بالتّراث كلّ ما عدا الدّاخل في حيّز المقدّس من الوحي، والثّابت من السنّة النبويّة؛ نحو الشّعر، والنثر بفنونه المختلفة، وعلوم اللّغة ومعاجمها، وكتب الأدب والمعارف العامّة. ويمثّل الجانب الخالد من التّراث رافداً مستديماً لحياة العربية وسيرورتها، ويقائها، وتظلّ علوم اللّغة مراجع لتعلّم العربية، وتناقشها عبر الأجيال، وأدوات لفهم النصّ المقدّس.

والعربية هي لسان هذا التّراث جميعاً، على هذا المدى الزّمنيّ المتطاول، وهذه مزية لها، ولا ينأى المرء عن الحقّ إذا هو قال: كأنّ زمان العربية دائريّ، يشبه أوّله أن يكون آخره، ويشبه آخره أن يكون أوّله.

وكان من الملاحظ لدى علماء الغرب؛ أنّ الكتب المكتوبة باللّغة اللّاتينيّة قبل 500 سنة فقط لا يمكن للعامة قراءتها، فلا يقرأها غير الدّارسين المتخصّصين جدّاً في هذه اللّغة القديمة، فأصبحت هذه الكتب شيئاً من التّاريخ. وبالمقابل فإنّ العرب بإمكانهم قراءة

الكتب المكتوبة قبل 1400 سنة، وهو ما يقابل ضعفي المدّة تقريباً بالنسبة للغة اللاتينية، وأنّ ما دخل على اللغة العربيّة من تغيّرات لم يدخل على معاني الكلمات ومدلولاتها، أو طريقة نطقها الصّحيحة، وأنّ ما دخل هو مجرد نقط للكلمات، وتشكيل لها، ممّا زادها قوّة ووضوحاً.

ويّضح ذلك جلياً في القرآن الكريم، وهو الكتاب الذي يتلى تواتراً ومشافهة منذ عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلّم إلى يومنا هذا، أمّا اللّغات الأخرى فليس بها ما ينقل تواتراً أو مشافهة ممّا أدّى إلى تغيّر الكلمات ومدلولاتها.

### ومن أقوال المستشرقين وعلماء الغرب في اللغة العربيّة:

يقول "أرنست ربنان" في كتابه "تاريخ اللّغات السّامية" :

( من أغرب ما وقع في تاريخ البشريّة وصعب حلّ سرّه، انتشار اللغة العربيّة، فقد كانت هذه اللّغة غير معروفة بادئ ذي بدء، فبدت فجأة في غاية الكمال، بحيث لم يدخل عليها منذ نشأتها وإلى يومنا هذا أيّ تعديل مهمّ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة، ظهرت لأول مرّة تامّة مستحكمة، ولم يمض على فتح الأندلس أكثر من خمسين سنة حتّى اضطرّ رجال الكنيسة أن يترجموا صلواتهم بالعربيّة ليفهمها النصارى.

ويقول "مرجليوت" الأستاذ بجامعة أوكسفورد:

( اللغة العربيّة لا تزال حيّة حياة حقيقية، وهي واحدة من ثلاث لغات استولت على سكّان المعمورة استيلاء لم يحصل عليه غيرها، الإنجليزيّة والإسبانيّة أختاها؛ إلا أنّها تخالف أختيها بأنّ زمان حدوثهما معروف ولا يزيد عمرهما على قرون معدودة، أمّا اللّغة العربيّة فابتداؤها أقدم من كلّ تاريخ).

ويقول المستشرق الأمريكيّ "وليم وول" مدير المباحث الشّرقية بالقدس:

( إنّ اللّغة العربيّة لم تتقهقر فيما مضى أمام أيّ لغة أخرى من اللّغات التي احتكّت بها، ومنتظر أن تحافظ على كيانها في المستقبل، كما حافظت عليه في الماضي، ولّغة العربيّة لين ومرونة يمكّنها من التّكيف لمقتضيات هذا العصر، فاللّغة التّركيّة خلال 250 سنة، لم تستطع القضاء على العربيّة أو إضعاف مكانتها.

**العربيّة هي اللّغة الكونيّة:**

لقد كشف علماء الغرب عن الكثير من الأسباب المؤدّية لموت اللّغات، ووجدوا أنّ هذه الأسباب موجودة - كلّها أو بعضها - في كلّ لغات أهل الأرض الحيّة والميتة، ولم تكن اللّغة العربيّة مدرجة في الدّراسات اللّغويّة أساساً، إلا أنّها حين أُدرجت - بعد دراسة الدكتور سعيد الشّريبيّ- انتقلت بسرعة فائقة من ذيل القائمة إلى رأسها، حيث أذهلت علماء الغرب بخصائصها؛ فقد اكتُشف أنّها اللّغة الوحيدة التي خلت من كلّ أسباب موت اللّغات وتشوّهها.

فمن تلك الأسباب - حسب ما شرّحه الدكتور الشّريبيّ - والتي تفسّر بالتالي سبب كون اللّغة العربيّة هي اللّغة النّاجية والباقية إلى

قيام السّاعة:

- وجود صوت الأو (O) الإنجليزي؛ لأنّه صوت ناسف ينسف الحرف الذي يليه، فلا ينطق ممّا يؤدّي إلى تشوّه الكلمات، وتغيّر مدلولها وعدم فهمها، ومن ثمّ موتها. وهو موجود في كلّ اللّغات عدا العربيّة، ذلك أنّ صوت الواو في العربيّة غير ناسف.

- ومن أسباب موت اللّغات تجاور صوتيّ (ق - ج) ويستميان بالصّوتين القاتلين، فإن تجاورا في لغة ما عُرف أنّ عمر هذه اللّغة قصير، وهذان الصّوتان لا يتجاوران في اللّغة العربيّة أبداً، وفق ما أوضحه الدكتور الشّريبيّ.

- ومن أسباب موت اللّغات، قصر الحروف المتحرّكة، وسرعة التّطق بها، وهذا يحدث في كلّ اللّغات مع مرور الزّمن (مثلاً من يتحدّث الإنجليزيّة بطلاقة لن يتحدّثها بحدوء؛ بل سيسرع في نطق حروفها، ويذكر الدكتور الشّريبيّ مثلاً على ذلك، فيقول: لو كان شخص اسمه إبراهيم، سيكون اسمه بعد فترة من الزّمن ابراهم، ثمّ ابريم، ثمّ ابرم، ثمّ ابر، ثمّ اب. وهكذا بقية الكلمات إلى زوال)، أمّا العربيّة فقد حُفظت من ذلك بوجود الحركات.

- ومن أسباب موت اللّغات، فقد صوت (ا) أو (ل) التّعريفيتين أو أحدهما، ووجودهما أو أحدهما من أسباب طول عمر اللّغة، وهما موجودان (كلاهما) في العربيّة في ألّ التّعريف.

وكذلك فقد صوت (راء)، وبدأ ذلك يحدث في الإنجليزيّة وبعض اللّغات، حيث لم تعد تُنطق الراء، كما تنطق الراء بالعربيّة، وهذا دليل على مرور اللّغة بمرحلة الشّيخوخة.

- ومن ذلك فقد صوت (باء) الأصليّ وانشقاقه إلى عدّة أصوات مثل (v-p).



ويستنتج الدكتور الشربيني هنا أنّ لفظ الجلالة ( الله ) لا يمكن ترجمته، نحو God في الإنجليزية، فكما أنّ الله ليس كمثله شيء، فلفظ ( الله ) ليس كمثله أيّ لفظ آخر.

يقول سبحانه وتعالى: **جِئْنَا بِكُم بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ** **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي بَدَأْنَا بآلِهَا لَنبَشْرُ بَكْرًا وَمَا عَلَّمْنَاهَا فِرْعَوْنَ وَلَا سُلَيْمَانَ إِلَّا الْقَلِيلَ مِمَّا يَشَاءُونَ وَالْعَرَبِيَّةَ الْعَرَبِيَّةَ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ** (الحشر: ٢٢ - ٢٣).

وبسبب هذه النتيجة التي توصل إليها علماء اللغة الكويّ، فقد بدأ العلماء البريطانيون خصوصاً، وعلماء الغرب عموماً بتدوين وثائقهم المهمة جداً، وكتبهم العلميّة التي يكتبونها للتاريخ باللغة العربيّة، بعدما ثبت لهم ثبوتاً علمياً أنّ اللغة الإنجليزية آيلة للتّوال، كما زالت اللغة اللاتينيّة عن الألسن الآن.

### الخاتمة:

اللغة العربيّة هي إحدى اللغات السامية؛ بل هي أصلها، وانذار اللغات هو تحوّل اللهجة إلى لغة؛ وهذا القانون الإلهي سار على كلّ اللغات منذ أن خلق الله النّاس.

أمّا اللغة العربيّة فلها شأن آخر لما أراد الله لها من بقاء؛ لأنّها لغة القرآن والإسلام، معجزة الله تعالى، وقد حيّرت الباحثين لقرون طويلة في نشأتها وفي بقائها ومقاومتها للانذار، أمّا المسلم فلا حيرة لديه، إذ هو يعلم أنّها لغة دينه الخالد.

### أ- النتائج:

في نهاية بحثنا توصلنا إلى ما يأتي:

- 1- أنّ اللغات كالإنسان تتنفس ثمّ تموت باستثناء اللغة العربيّة لغة الكون.
- 2- أنّ اللغة العربيّة هي اللغة الأولى ( أصل اللغات ) ولغة آدم عليه السّلام.
- 3- أنّ اللغة العربيّة هي لغة أهل الجنّة.

4- أن لفظ الجلالة " الله " هو صوتٌ واحدٌ فقط.

5- أن لفظ الجلالة " الله " هو اسمٌ على الذات الإلهية؛ ولا تجوز ترجمته بأية لغة كانت.

6- اللغة العربية أغنى اللغات على وجه الأرض.

### ب- التوصيات:

1- دعوة علماء الشريعة لتدبر القرآن الكريم في ضوء النظام الصوتي لا الحرفي فقط.

2- الربط بين دراسة اللغة العربية ودراسة القرآن الكريم.

3- تطوير مناهج اللغة العربية في مدارسنا.

4- الاهتمام بمعلمي اللغة العربية في المراحل التأسيسية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلّى الله على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم

### الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	2
المبحث الأول: مفهوم اللغة الكونية	5
المبحث الثاني: شجرة اللغات في علم اللغة الكوني	7
المبحث الثالث: موت اللغات	10
المبحث الرابع: بقاء اللغة الكونية	16
الخاتمة	24
المراجع	27

### المراجع

1- كلمات العالم ( منظومة اللغات الكونية)، أبرام دواسون، ترجمة: د. صديق محمد جوهر، ط. هيئة أبوظبي للثقافة، التراث، كلمة، 2011م.

2- العولمة وتطورات العالم المعاصر (قبل موت اللغة)، سامي فريدي، الحوار المتمدّن، العدد: 2635 /5/3 2009م.

3- العولمة والعولمة المضادة، عبدالستام المسدي، شركة مطابع لوتس بالفجالة، 1999م.

- 4- ظاهرة موت اللّغات في عصر العولمة، د. عطا أبو جين، 10 ديسمبر 2009م.
- 5- مُدخل إلى ظاهرة انقراض اللّغات، مقالات وكتابات البروفيسور حسيب شحادة، 13 / 3 / 2009م،  
BETTNA.COM
- 6- اللّغة العربيّة في العصر الحديث، نهاد الموسى، دار الشروق، 2007م.
- 7- ما معنى مصطلح موت اللّغة، وما اللّغات الميّنة؟
- 8- Language Death David Crystal Cambridge University press 2000 ( ISBN 0521653215) hard back.
- 9- <http://www.sawtakonline.com/forum/archive/index.php/t-59044.html>
- 10- <http://www.sawtakonline.com/forum/archive/index.php/t-59044.html>.

### الهوامش

- 
- (1) جامعة هارفرد تكتب آيات من القرآن الكريم على جدران أبنيتها الداخليّة.
- (2) <http://www.faifaonline.net/faifa/news-action-show-id-466.htm>
- (2) الأستاذ الدكتور الشّريبيّ عالم مصريّ متخصصّ في علم اللّغة الكويّ، الأوّل على مستوى العالم العربيّ، محاضر في جامعة لندن.
- (3) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير سورة الفاتحة.
- <sup>4</sup> <http://www.way2allah.com/modules.php?name=Khotab&op=Series&id=575>
- (5) انظر: البوريني، اللّغة العربيّة أصل اللّغات، ص35.
- (6) تنتمي اللّغة العربيّة إلى مجموعة اللّغات السّاميّة.
- (7) C:\Users\User\AppData\Local\Temp\Rar\$DI15.0510\شحادة حسيب شحادة.mht مدخل إلى ظاهرة انقراض اللّغات - بقلم حسيب شحادة
- (8) بستام بركة، اللّغة العربيّة وتحديات العصر الحديث، مقال، 2005م.

---

(9) نھاد الموسى، قيم الثبوت وقوى التحول.

(10) ابن منظور، لسان العرب.

• إرسال المشاركة بصيغة ( وورد - word - فقط ) عبر البريد الإلكتروني [almajless@live.com](mailto:almajless@live.com)